متصوّر النّص في التّراث النّقدي العربي
بين الفهم والاصطلاح

بقلم

أ. سعاد نكاع (*) أد. خيرة مكاوي (**)

ملخص

النّص مصطلح يكتسي أهمية بالغة في إطار الحياة العملية و الاجتماعية للإنسان، فهو أحد المرتكزات الأساسية الّتي تقوم عليها العلاقات التّواصليّة، إذ به يبنى انسجام المجتمع وتماسكه، وبواسطته تنظم مختلف المؤسسات وتضبط قوانين اشتغالها، وتسيّر طبيعة التعامل بين الأفراد ما يضمن الثبات والاستمرارية في أوساط المجتمع، ويأتي اهتمام علماء اللغة المحدثين بالنّص باعتباره الوحدة الطبيعية الّتي يتمّ عبرها التواصل بين الأفراد؛ و الوحدة الكلية الّتي تستحق التحليل.

وبما أنّ مصطلح النّص حداثي المنشأ غربي الاصطلاح، فهذا لا ينفي حضور متصوّره في التراث العربي، وهذا ما تصبو إليه هذه الورقة البحثيّة التي تتوسل ببيان العناصر الآتي ذكرها: – تعريف النص كإجراء فعلي تأسيسي، ثم بيان التأثيل المنهجي الدقيق لهذا المصطلح، في الدراسات النقدية العربية القديمة، سواء ما تعلق بالجاحظ والباقلاني ومن على شاكلتهما.

(*) باحثة في مرحلة الكتوراه سنة رابعة، تخصص لسانيات النص، و أستاذة مساعدة (أ) بقسم الدراسات اللغوية جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم (souadnekaa@gmail.com)

(**) أستاذ التعليم العالي – قسم الدراسات الأدبية والنقدية– جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم (mekkaouikheira@gmail.com)

الكلمات المفتاحية: تعريف النص ، النسيج ، الخطاب ، التماسك .

1ـ تعريف النّص:

لا مناص بداية التعريج على تبيان المفهوم اللّغوي لمدلول النص، داخل الحقل المعجمي بغية تلمس بعض المؤشرات الّتي قد تقودنا إلى إيجاد بعض نقاط الاتفاق بين التحديد اللغوي والاصطلاحي قبل تناول مفاهيمه المتشعبة.

أ – المفهوم اللّغوي: ورد في لسان العرب: النّص: رفعك الشيء، ونصّ الحديث ينصّه نصّا: رفعه. وكل ما أظهر، فقد نصّ ومنه المنصة، وقال الأزهري(ت370ه) النّص أصله منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها، ومنه نصصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الأشياء، ومنه نصّ الناقة، إذا استخرج أقصى سيرها، ونصُّ الشيء منتهاه، ونصّت الظبية جيدها: إذا رفعته)(1) . أمّا النّص عند الفقهاء فهو(نص القرآن ونص السنّة، أي ما دلّ ظاهر لفظها عليه من الأحكام)(2) ، فالنّص في علم الحديث هو التوقيف والتعيين، والنّص في الكتابات الأصولية والفقهية هو نصوص القرآن الكريم ظاهرة الأحكام، أو هو مجموع القواعد المستمدّة من الكتاب والسنّة إذ تعتمد القاعدة الفقهية على: أنّ لا اجتهاد مع وجود النّص، وهناك النّص والرأي أو النقل و العقل.

أمّا في اللغات الأجنبية فيصطلح عليه في الفرنسية بـ(texte) وفي الإنجليزية بـ (text)، وهو لفظ مأخوذ من اللفظ اللاتيني (textus) والّتي تعني (tissu)؛ في الفرنسية أي نسيج، وجاءت من الفعل(texére)؛ نسج وقد أخذت الكلمة في العصر الإمبراطوري معنى ترابط الحكاية. وما تحيلنا إليه كلمة (texte) نسيج أنّ (النّص نسيج من الكلمات يترابط بعضها ببعض، هذه الخيوط تجمع العناصر المختلفة والمتباعدة في كل واحد هو ما نطلق عليه مصطلح نص)(3). فكما تجمع الخيوط بعضها ببعض من خلال عملية النسيج تجمع الكلمات في النّص، فمصطلح

نص(texte) يدل دلالة صريحة على التماسك والترابط بين أجزاء النّص وذلك من خلال معنى كلمة "النسيج".

لقد ارتبطت دلالة النّص في الديانة المسيحية(بالنّص المقدس إذ وردت اللفظة بصيغة الجمع " les textes"، لتحيل على النصوص المقدسة)(4). ولمّا كانت الحاجة الماسة لمصطلح يعبّر عن القوانين والتشريعات بالكتابة، استعار علماء الغرب هذا المصطلح، وهكذا تدرج المصطلح من علم لآخر حتّى وصل لعلم اللغة فصار يطلق على الشعر والنثر لفظ نص، فقالوا: نص شعري ونص نثري= نص أدبي.

ب- المفهوم الاصطلاحي:

بداية تجدر بنا الإشارة إلى استخدامات المصطلح داخل الوسط الألسني، فالشائع عند الأوربيين هو مصطلح "النّص"(texte)، ويتميّز الاتجاه الأنجلو أمريكي باكتناف مصطلح "الخطاب"(discourse) وبالتالي فأكثر المصطلحات إثارة وتجاذبا للأطراف في ميدان الدراسات اللغوية هو مصطلح النّص* وصعوبة إيجاد إطار مفاهيمي محدّد له، ترجع إلى كونه مفهوم تداخلت في بنائه تصورات معرفية عديدة ونتاج ذلك أن صار النّص يحمل أكثر من دلالة واحدة ويضمّ أكثر من تعريف، فلكل حقل من الحقول المعرفية الّتي احتضنت هذا المصطلح تعريف خاص به، ويبقى الحقل اللساني لوحده يحمل عدّة تعاريف تلتقي أحيانا فيما بينها وتختلف أحايين أخرى، والملاحظ عليها أنّ بعضها أخذ يبيّن مفهوم النص عموما لم تصل إلى تعريف محدّد وموحّد لهذا المصطلح.

يتميّز النّص بكيانه المتفرد، فهو لا يبنى بنفس القواعد أو المفاهيم الّتي تبنى بها الجملة، لذا فالنّص يجب أن يكون متميّزا عن "الفقرة"، وكذا عن وحدة النموذج الكتابي لعدد من الجمل، فمصطلح "نص" ينطبق على الجملة كما ينطبق على الرواية،

حتّى الكلمة الّتي تحمل معنى تاما، أي أنّها تجسد صفة الاكتمال والاستقلال ككلمة "قف" فقد اعتبرها علماء اللسانيات "نصا". ويلغي بعض الباحثين العبرة بالتلفظ والكتابة، وعليه فلا يقتصر مصطلح "النّص" على النّص الأدبي فقط، فحكم القاضي نص، والمقال في الجريدة نص وغيرها حتّى الإشارة في نظر السميائيين يمكن أن تكون نصا.

2ـ مفهوم النص عند الغرب:

لقد حظي النّص كمصطلح وكمفهوم بكبير الاهتمام لدى "لويس هيلمسلاف" (L.Hilamslif) 1900- 1965، إذ أورد له تعريفا على اعتبار أنّه يساهم في بناء النظرية اللغوية على حدّ قوله، فالنّص عنده(سلسلة تتكون من مجموعة أجزاء يتحقق فيها النظام الصوتي والدلالي والنحوي، ولا عبرة له بالطول أو القصر ولا يهم إن كان مكتوبا أو منطوقا...)(5)، وهذا يعني أنّ النظام اللغوي نظام سطحي أو شكلي يحيل إلى احتواء ذلك الجزء الكلي للعناصر الجزئية، من خلال تماسك العلاقات وترابطها من خلال مستوياته الثّلاثة.

إنّ تعريف النّص لم يستقر، فكلّما تحرّكت عجلة الفكر وتطورت، ظهرت تعريفات جديدة على السطح لهذا المصطلح، فقد أورد كل من "هاليداي ورقية حسن" تعريفا للمصطلح في كتابيهما "الاتساق في اللغة الإنجليزية cohésion in English " ويتحدّد مفهوم النّص عندهما انطلاقا من البنيّة الداخلية له، والّتي تحكمها شبكة علائقية تضمن للنّص نصيّته، وعليه يمكن القول بأنّ(كل متتالية من الجمل تشكل نصّا، شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، تتم هذه العلاقات بين عنصر وآخر وارد في جملة لاحقة أو بين عنصر ومتتالية برمّتها سابقة أو لاحقة)(6). ينطلق الباحثان في تعريفهما للنّص من مبدإ خاصية التتابع الجملي، وهما بذلك يركّزان على

الكم من ثمّ يوضحان العلاقة القائمة بين الجمل وهي "الإحالة" والّتي تربط بين كلام سابق وآخر لاحق.

كما لا يمكن لنا حصر النّص في كونه مجموعة من الجمل، وذلك بمراعاة العلاقات النّحويّة الرابطة بين الجمل فقط، إذ يمكن أن يكون النّص منطوقا أو مكتوبا؛ نثرا أو شعرا، حوارا أو مونولوجا، يمكن أن يتجسّد في أي شكل، فالنّص وحدة دلالية، وليست الجمل إلاّ وسيلة يحقّق بها النّص كينونته ووجوده في الواقع. وبذلك ينطلق "رولان بارث"Roland Barthes في تعريفه للنّص من المفهوم اللغوي للمصطلح، والميزة البارزة فيه على أنّه نسيج، فيقول:(إنّه السطح الظاهري للنتاج الأدبي، نسيج من الكلمات المنظومة في التأليف والمنسقة بحيث تفرض شكلا ثابتا ووحيدا، ما استطاعت إلى ذلك سبيلا)(7). فالنّص نسيج لما فيه من تسلسل في الأفكار وتوال في الكلمات، وربط بين الجمل، وتنظيم في الأجزاء وهذا ما يعطيه صفة الانسجام والتّرابط، وتعطيه هذه الصفات صورة الثباتية. وفي مقام آخر يستبحث "بارث" تعريفا آخر للنّص يركّز فيه على مبدأ الكم، كون النّص وسيلة تعبير لغويّة، واستنادا لهذا المبدأ فإنّ النّص لديه(قد كفّ على أن يتخذّ الجملة نموذجا له إنّه في الغالب دفق لغوي قوي من الكلمات)(8).

ولا يمكن لنا أن نبرح حقل التعريفات، دون أن نعرّج على ما قدّمته"جوليا كريستيفا "J-Kristeva حين رأت أنّ(النص نظام عبر لغوي، يقوم الكاتب فيه بإعادة توزيع نظام اللغة، وذلك بإقامته علاقات بين الكلام التواصلي الذي يهدف إلى الإبلاغ المباشر، وبين الملفوظات القديمة و المعاصرة)(9).

يعلق بعض النقاد على تعريف "جوليا كريستيفا"، بأنّها أخرجت تعريف النّص من الإطار الشكلاني المغلق، ضيّق الأفق إلى فضاء أوسع، حيث يلتقي النّص بالمجتمع

والتاريخ، لذلك كان بمثابة نظام لغوي يتم من خلال عملية إنتاجية "productivité"، يقوم الكاتب أو المؤلف على إثرها – العملية الإنتاجية – بعملية إعادة توزيع للنظام اللغوي، ويكون ذلك بالتعالق الحاصل بين النصوص الأخرى حيث يتم هذا بواسطة العملية التناصية، بناء على ذلك قدّمت الباحثة من خلال مصطلح التناص "Intertextualité"مفهوما جديدا لمصطلح النّص، ذلك أنه يمكننا أن نصادف في نص واحد مجموعة من الملفوظات إنّما هي مستوحاة من نصوص أخرى، وهذا يعني أنّه لا يوجد نص بريء، فكل كاتب يحمل في طيات نصوصه ترسبات من كتابات سابقة له، تكون بصمتها حاضرة في نصوصه.

وأيّا ما كان، فإنّ "رولان بارث" يذهب إلى أنّ(النّص دوما بدعة وخروج عن حدود الآراء السّائدة)(10)، لذلك تبقى مسألة إيجاد تعريف شامل محدّد وموحّد للنّص نسبية إلى حدّ ما. أمّا إذا ما أردنا أن ندخل عنصر التفاعل أو التواصل في تعريف مصطلح النص، فيمكن القول بأنّه(وحدة لغوية حال استخدامها، أو وحدة تواصلية)(11)،أو بتعبير آخر هو (سلسلة لسانية منطوقة أو مكتوبة مكونة لوحدة تواصلية)(12). وهٰهنا يوضع شرط الاستعمال لأن يكون النص وحدة لغوية، وبإضافة العنصر التداولي يكتمل تعريف النّص ذلك أنّ أي إنتاج أدبي يكون موجّها نحو قارئ معين.

هذه التعاريف متعلّقة بالدراسات الغربية على اختلاف توجهاتها، فهذه الأخيرة ساهمت بشكل أو بآخر في خلق الفروقات بين جملة الباحثين، لتزداد هذه الفوارق أكثر تباينا في أوساط الدّراسات العربيّة نتيجة للاضطراب الّذي يسود أوساط الدّراسات العربية، إن على مستوى المصطلحات أو المفاهيم.

3ـ مفهوم النص عند العرب

لم يشذ استعمال مصطلح النّص عن قاعدة الاختلاف، ذلك أنّنا نجد من الباحثين العرب من يسير في نفس الاتجاه الغربي ومنهم من حاول استشفافه من المدونات التّراثية العربية.

بداية نجد الباحث "عمر أبو خرمة"، يستقصي مفهوم النّص في العربية من المفهوم اللغوي، وعليه فالنّص عنده يحمل مميّزات هي(الظهور، وعلو المصدر، والاستقصاء التام، والتركيب، والاقتصاد، بناء على ما تقدّم، فإنّ النّص... صار الشكل اللّغوي (الصوتي/ الكتابي)، الظاهر على تركيب مخصوص بنمط ترتيبي ثابت، بحيث يستقصي جميع مرادات ناصّه)(13).

والنّص لدى الباحث "نعمان بوقرة"(وحدة كبرى شاملة تتكون من أجزاء مختلفة تقع على مستوى أفقي من الناحية النحوية، وعلى مستوى عمودي من الناحية الدلالية، ومعنى ذلك أنّ النّص وحدة كبرى لا تتضمنها وحدة أكبر منها، ... وفي ضوء هذا الفهم فإنّ فهم النّص يتحقّق على مستويين)(14)، وعليه فإنّ كينونة النّص تتجسّد في بنيته الكبرى، والّتي تتضمن العلاقات النحوية والدلالية بين أجزاء النص- الجمل- ووفقا لهذا فإنّ فهم هذه العلاقات يحتاج إلى معرفة واسعة بالقواعد المؤسسة للنص وأنماط المقامات المختلفة المنتجة له.

ولعلنا حين نتصفح كتب الباحث "محمد مفتاح" في كتابه(المفاهيم معالم) نجده قد تماهى في الحديث عن النص من منطلقين بارزين يتجاذبان الترجمة والمفهوم وهما:

أولا الاتجاه اللاّتيني، والذي يضع فيه مفهومين متوازيين بحسب الشكل، وهو الاستصناع المرفولوجي، الذي يستند إلى المقومات الخارجية المنسوج منها الكلام فقال:(النص نسيج)(15)، أما المعطى الثاني والوجه المتوازي مع الأول، فقد أعطاه

تصورا ينبني على التكوين الداخلي للنص، والذي يستند إلى خاصية الاتساق والانسجام، الّتي تحكم العنوان الدال على المحتوى فكان النص نصوص، وجعل له مرجعا هو (النص وثاق)(16).

والحق أن الباحث "محمد مفتاح" قد أثّل فعلا للمتصور النصي، الذي انبثق عن الماهية اللاتينية متحولا إلى فعل الكينونة العربية في أشكال وصنوف شتى؛ فكان نسيج ووشاح وعقيان وغيرها، من الوسومات التي تجاوزت الآلة اللاتينية، وحوّرت نفسها نحو بلوغ مقصد عربي جديد.

وعلى هذا الأساس، نجد "محمد مفتاح" يحدّد للنّص الأساسات الّتي تسهم في تشكيل النّص وإعطائه صفة الكينونة وفق مبدأ النصّانية، فالنّص عنده مدونة كلاميّة تجسّد حدثا يقع في زمان ومكان معينين، وهو تواصلي تفاعلي، منغلق على نفسه ببدايته ونهايته، وهو توالدي لأنّ الحدث اللّغوي ليس منبثقا من عدم، وإنّما هو متولد من أحداث تاريخيّة ونفسيّة ولغويّة... وتتناسل منه أحداث لغوية أخرى(17). ووفق هذا التّأسيس المتعلّق بتصوّر الباحث حول مفهوم النّص، يصبح النّص لديه(مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعدّدة)(18).

و على الرّغم من هذه الاختلافات في تعريف النّص وتباين وجهات النظر، يمكن لنا أن نستشفّ تعريفا شاملا موحّدا للنّص حسب رأي الباحث" محمد وهابي"، فهو يجمع بين هذه الآراء، ليخلص في نهاية المطاف إلى جملة من الخصائص الّتي يمكنها أن تعطينا تعريفا للنّص، تتمثّل في كونه كيانا لغويا يتحقّق وجوده بفعل اللّغة، ثمّ إنّه متوالية من الكلمات والجمل، وهذا باعتبار الكم اللغوي.

وانطلاقا من هذه الخاصيّة يمكن لنا القول: إنّ النّص نسيج بالنّظر إلى الشبكات التعالقيّة الّتي تحكم نظامه الداخلي، والّذي يضمن له تمظهر الكتابة، وكلّ هذه الخاصيّات تجتمع لتعطي للنّص صبغته التواصليّة(19)، وهذه الأخيرة تضمن له

تواجده بالفعل. و عليه يكون النّص(كيانا لغويا مكتوبا، مترابطا ومنسجم الأجزاء، ومتضمّن رسالة يمكن من خلالها تحقيق التّواصل بين المرسل والمتلقي)(20).

وعلى هذا الأساس، فالنّص هو الوحدة اللغوية الّتي تربط بين عناصرها علاقات نحوية ودلالية داخلية، وتحكمها مبادئ تواصلية لا عبرة له بالطول أو القصر، ذاك إنّ الغاية من استعمال اللّغة هي التواصل بين أفراد المجتمع الواحد، حيث يشكّل النّص البؤرة المثالية، من أجل دراسة المستويات اللّغوية الثلاثة في صورة متكاملة ومترامية الأطراف. وانطلاقا من مبدإ التّأثيل والتّأصيل سنحاول أن نتبيّن متصوّر النّص لدى جملة من النّقاد والبلاغيين العرب القدامى.

متصوّر النّص في التّراث النّقدي العربي :

إنّ الباحث عن متصوّر النّص في التّراث العربي، لا بدّ أنّ يستأنس ببعض آراء اللّسانيين العرب المعاصرين والمشتغلين على إحياء التراث النّقدي، فهم يسلّمون أنّ النقاد القدامى قد كان لديهم تصورا حول النظرة الكليّة الّتي يتشكّل بها النّص الأدبي، فغياب المصطلح لديهم لا يعني بالضرورة غياب المفهوم أو غياب الممارسة، ولهذا نجدهم قد تحدّثوا عن النّص بمنظور تراثي وفق الرّؤى المعاصرة على اختلاف في التّصورات والمفاهيم أحيانا، وذلك حسب المنطلقات الّتي يتأسس عليها الفكر النّقدي لكل ناقد.

ومن بين التخريجات الّتي توصّل إليها بعض الباحثين من أمثال"محمد مفتاح ونهلة فيصل الأحمد ومحمد العبد" وغيرهم، أنّ النّص كمصطلح وكمفهوم حداثي يحيل إلى عدّة استعمالات وما يوازيه داخل المدوّنة العربيّة التّراثيّة يقترح الباحثون: الكلام، النّسيج، التّأليف، النّظم....الخ، وتأكيدا على ذلك تورد الباحثة "نهلة الأحمد" فكرة تؤكد صحّة هذه الاستخلاصات وهي إن: "صناعة الكلام أو النص على شاكلة النسيج"، فالملحوظ أنّ هذه الفكرة قد تواردت بين الكثير من العلماء القدامى من

أمثال "الجاحظ والشريف الجرجاني" و"عبد القاهر الجرجاني"، ويبدو أنّ هذا الأخير عند تشبيهه للنظم بالنسيج كان متأثرا في ذلك ببيئته، فلقد شاعت صناعة النسيج في بلده وازدهرت آنذاك(21).

***-تجليات مفهوم النّص عند الجاحظ:**

إذا ما استقرينا دواوين "الجاحظ" ألفيناه رائدا للنقد التأسيسي، ذلك أنّه من الأوائل الّذين اهتّموا بقضية التّدوين*، وهذا يحيل إلى عنايته بالنصوص وطرق تشكّلها، ومن بين المصطلحات والمفاهيم الّتي كان الجاحظ يستعملها للتعبير عن طرق التواصل والّتي هي في الأخير نصوص تواصلية:

أ* الصياغة: يتمثّل هذا المصطلح في نظر "الجاحظ" كوصف للعمل الأدبي بكل جوانبه، وهي من المقومات الأساسية في إنتاج النّص وتتمثل في(صحة الطبع وجودة السبك فإنّما الشعر صياغة وضرب من النسج والتصوير)(22)، يشتمل تعريف الجاحظ على مصطلحات تدل على إنتاجية النّص كالصياغة والنسج والسبك، فهذه المصطلحات على تغاير وتباين حدودها تدلّ على التأليف المتضمن للألفاظ والمعاني. ويضيف الجاحظ آلية "التصوير"، الّتي تضفي على العمل الأدبي صورته النهائية في التأليف، فتقنيّة التّصوير تسنح للمتلقّي الاطّلاع على أفكار المؤلف وذهنياته، وبهذا يتشكّل لدينا نص متكامل محكم الأوصال بيّن المعاني.

ب* إيضاح المعنى:

وأمّا ما يتعلّق بإيضاح المعاني فـ(البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتّى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان؛ لأنّ مدار الأمر والغاية الّتي يجري القائل والسامع، إنّما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو

البيان في ذلك الموضع)(23) ، فالمتأمل لهذا النّص يجد أنّ "الجاحظ" يقارب إلى حدّ ما بقوله مفهوم النّص من المنظور الحداثي، ذلك أنّ البيان لا يمكن أن يختزل في قالب محدّد، لذلك يمكن القول إنّ آلة البيان قد تتجسّد في كلمة أو قصيدة...الخ، فغاية الأمر ليس الكم، وإنّما إيضاح المعنى وحدوث التواصل بين المتكلّم والسامع عبر رسالة محدّدة وواضحة ، تكشف لك عن أفكار المؤلّف.

تنبئ آراء "الجاحظ" إذن عن فكره الثاقب ونقده المتمرّس، علما أنّ علماء لسانيات النّص أصحاب التوجّه السيميائي، قد أقروا في ممارساتهم وآرائهم النقدية أنّ الإشارة في حدّ ذاتها "نص"، لذا نجد "الجاحظ" نفسه قد أشار إلى هذه النقطة من قبل، فبيّن أنّ طرق التواصل خمسة عقدها فيما يلي: تواصل بالإشارة والعقد والخط والحال والنصبة بالإضافة إلى اللفظ، ومن هذا المنطلق يتضح تصوّر الجاحظ للنّص الّذي هو في أساسه طريقة للتواصل، فهو لا يتوقف عند دلالة الكلام فقط، وإنّما وسّع منظوره النقدي ليشمل التّواصل بالإشارة، وقد أجملها في الدّلالات الخمس السابق ذكرها.

وجملة الأمر فإنّ معنى البيان عند "الجاحظ" من خلال ما رأيناه سابقا يحمل معنى الظّهور والوضوح حاله حال المفهوم اللّغوي لـ"لنّص"، وعن ذلك تعلّق الباحثة "نهلة فيصل الأحمد" قائلة:(الحقيقة أنّ نظريّة البيان هذه عند الجاحظ في القرن الثّالث الهجري التّاسع الميلادي، تكاد تكون نظريّة شاملة لمعنى النّص ليس فقط كبيان ووضوح، ولكنّها تتجاوز المعنى اللّغوي والاصطلاحي في الثّقافة العربية لتتشابه مع ما أنتجه الفكر الغربي حول معنى"نص" في كثير من نظريّاته وتعريفاته خاصّة الحقل السيميائي)(24).

في حين يعلق "محمد العمري" على مفهوم البيان عند "الجاحظ" بعد إيراده لمجموعة من الأقوال التي يعرض فيها تعريفات للبيان في كتابه البيان والتبيين،

قائلا:(مفهوم البيان عند الجاحظ مفهوم إجرائي؛ أي أنّه العملية الموصلة إلى الفهم والإفهام في حالة اشتغالها...فالشيء المركزي الثابت في كتاب البيان والتبيين هو الفهم والإفهام بالوسائل المختلفة: الوسائل اللغوية والإشارية الخاصة)(25)، هذا يعني أنّ البيان عند "الجاحظ"(النّص بالمفهوم المعاصر) يكون لغويا أو غير لغوي (لغة الإشارات)، وغاية كل منهما هو الإدراك والاستيعاب من جهة المتلقي، وكشف الحجب المغطاة عن المعاني. كما لا يمكن إغفال إشارات "الجاحظ" إلى أهمية التثبيت بالكتابة، وهو بهذا القول يذهب مذهب "بول ريكور" عندما قرّر بأنّ النّص هو كل ما تمّ تثبيته بالكتابة.

ومجمل الأمر كلّه، فإنّ ما قدّمه "الجاحظ" يدخل ضمن إطار التّصور اللساني للنّص حسب ما أقّره الباحثون المحدثون، فهو يقترب بنظرته تلك، من التعريف الّذي أورده أصحاب الاتجاه الألسني النّصيى عن "النّص"، ويمكن على هذا الأساس اعتباره (بحثا من أبحاث الدراسة النّصية؛ ذلك أنّ الجاحظ عندما تكلم عن البيان كان فكره متّجها بلا شكّ نحو النّص باعتباره وسيلة تربط بين متكلم وسامع)(26).

إنّ الكلام في هذا الشأن يطول كلما حاولنا الاستزادة منه، ذلك أنّ مفهوم النّص عند القدامى لا يمكن أن يتوقّف عند كونه من مفهوم البيان فقط، وإنّما يمكن له أن يتعدّاه ليكون من مفهوم التّأليف أو من مفهوم النّظم، وأحيانا أخرى نجد في مدوّنات التّراثيين وصفا لطرق تشكّل النّص وصفا للبنيّة الكليّة والّتي تحيلنا إلى مفهوم النّص.

***- حسن السّبك من مفهوم النّص عند ابن طباطبا العلوي:**

يمكن لنا في هذا المقام أن ندرج ما نوّه به "ابن طباطبا العلوي(-322ه)" في معرض حديثه عن الأدوات الّتي تساهم في بناء الشّعر وإخراجه في هيكل كلٍّ

متكامل، مشكّلا ذلك صورة النّص النهائيّة، فيقول:(... وإيفاء كل معنى حظّه من العبارة، وإلباسه ما يشاكله من الألفاظ حتّى يبرز في أحسن زيّ وأبهى صورة)(27)، لا يقتصر وصف ابن طباطبا في هذا النّص على البيت الشّعري الواحد، وإنّما هو وصف للقصيدة كاملة، فالصورة النهائية الّتي تكون عليها القصيدة الشعرية متعلّقة بكيفية تركيب الألفاظ والمعاني كاملة، من ثمّ يمكن لنا أن نحكم على الشعر من حيث حسن السبك وكمال التّصوير.

إنّ نظر "ابن طباطبا" في غالبه كان موجّها إلى القصيدة على اعتبارها النّموذج الأمثل للتحليل، ولكّن ما يلاحظ عليه، أنّه حقيقة يتحدّث عن القصيدة صراحة، غير أنّه حين يمثّل لما يقوله ويدرج ما يستحسنه، لا يتجاوز ذلك الشّعر بيتا أو بيتين، وقد يرجع الأمر إلى أن يكون حديثا عن البيت معمّما على القصيدة.(28)

وفي كثير من المواطن نجد" ابن طباطبا" يتعرّض بالنقد والتّحليل للطرق الّتي يجب أن ينبني عليها النّص الشعري، والّذي يقع على مستوى الألفاظ والمعاني، فيقول:(واجتناب ما يشينه من سفساف الكلام وسخيف اللفظ، والمعاني المستبردة... حتّى لا يكون متفاوتا مرقوعا، بل يكون كالسبيكة المفرغة والوشي المنمنم والعقد المنظم، واللباس الرائق، فتسابق معانيه ألفاظه)(29)، يؤكّد "ابن طباطبا" في هذا القول منظوره حول النتاج الأدبي، ليحيلنا بذلك إلى تصوّره الكامل للنّص الشّعري، من ثمّ فهو يشترط في قبول العمل الأدبي:

1- اجتناب سفساف الكلام وسخيف اللّفظ.
2- الابتعاد عن المعاني المستبردة... مرقوعا.
3- أن تكون صورته النّهائيّة كالسبيكة ...فتسبق معانيه ألفاظه.

تحمل هذه الصوّر، تصوّر النّاقد حول تشكّل النّص الشّعري، والّذي يبدأ بأصغر وحدة فيه وهي اللّفظ، على أن يختار الشّاعر لكلامه، كلّ لفظ شريف ورائق يحمل في ثناياه قوة في التّعبير، من ثمّ ينتقل إلى المعاني والّتي يجب أن تنمّ عن صدق الإحساس، واجتماع هذه الخاصيّات ينتج لنا في الأخير نصّا الأخير كالقطعة الواحدة والعقد المنظّم في تآلف أجزائه يشبه أوّله* آخره تتشاكل ألفاظه مع معانيه.

يبدو وعي النّاقد جليّا، من خلال عنايته بالبحث في علاقة الجزء والكلّ معا، فهو كما يولي اهتمامه بتشكّل القصيدة، يشير أيضا إلى أهميّة تشاكل الأبيات وتماسكها من ناحية المعنى واللفظ حتّى يكون التّأليف بيّنا صحيحا فما ينطبق على الجزء ينطبق على الكلّ -وقد ورد توضيح الفكرة سابقا لديه-، فمثلا في معرض حديثه عن خاصيّة تأليف الأبيات إنّما ينطلق ابن طباطبا من فكرة تناسق الجزء ليصل الشّاعر في نهاية المطاف إلى تماسك الكلّ، والّذي يحيلنا إلى تصوّر كلّي للنّص، ومن هذا المنطلق فمفهوم التّأليف عنده إنّما هو خاصيّة من الخوّاص الّتي تميّز النّص.

لا يثني "ابن طباطبا" في كتابه"عيّار الشّعر" الإشارة إلى طرق تأليف النّص وصنعته متى سنحت له الفرصة أو استلزم الأمر، فعنايته وُجِهت إلى بناء مخطط مثالي لبناء القصيدة، تكون ذخرا للشّاعر، وإلى مثل ذلك يذهب بقوله:(وينبغي للشاعر أن يتأمل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحها، فيلائم بينها، لتنتظم له معانيها، ويتصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فضلا من حشو ليس من جنس ما هو فيه)(30)، يؤكّد الناقد في هذا القول نظرته الكليّة والشاملة للعمل الأدبي، ذلك أنّ اتصال الكلام وانتظام المعاني يؤدي إلى تماسك النّص.

ونقف عند حدود هذا القول مع الباحث "محمد العبد" معلّقا على أقوال "ابن

طباطبا" السابق ذكرها، فيما يخص تماسك أجزاء القصيدة فيقول:(إنّ انتظام المعاني واتصال الكلام في إشارة "بن طباطبا" السابقة أمور ينبغي لها أن تفهم في ضوء مبدأ الاستمرارية المعنوية التي توفر للخطاب حبكا طوليا هو نواة أبنيته الصغرى، كما توفر له حبكا كليا هو نواة أبنيته الكبرى)(31)، وهذا يعني أنّه عندما تكون هناك علاقات منطقية ودلالية بين الكلام والمعاني يستدعي ذلك أن تكون المشاكلة والمناسبة قائمة بين أجزاء الكلام.

والمتأمل في كتاب"عيار الشعر" يجد إشارات كثيرة ومتفرقة، تنم عن مدى وعي "ابن طباطبا" بضرورة جعل فكرة التماسك داخل النّص كشرط أساسي في بنائه، والّتي لا يمكن لأيّ شاعر الاستغناء عنها فيقول:(إنّ للشّعر فصولا كفصول الرّسائل فيحتاج الشاعر إلى أن يصل كلامه على تصرفه في فنونه، صلة لطيفة، فيتخلص من الغزل على المديح إلى الشكوى... بألطف تخلص وأحسن حكاية بلا انفصال للمعنى الثاني عمّا قبله)(32)، ناهيك عن حديثه على حسن تأليف الألفاظ والمعاني، وإخراج العمل الشعري في صورة واحدة متناسقة، كما يصرّ على أهمية الربط والتناسق في الكلام، ليس بين المعاني والألفاظ فقط، وإنّما بين الأغراض أيضا، فحسن التخلّص والربط بين المعنى والذي يليه، أمر ضروري لكي يكون استواء النسيج وكمال العمل الأدبي.

ومن ثمّ يسهب الناقد في تخريجاته لوصف بناء النّص الشعري، فنظرته لم تتوقف عند حسن السبك والتصوير، بل تعدّت ذلك إلى وجوب أن تكون القصيدة في نهايتها(كالكلمة الواحدة في نسجها وانتظامها وفصاحتها وجزالة ألفاظ، ودقّة معان وصواب تأليف، ويكون خروج الشّاعر من كلّ معنى يصنعه إلى غيره من المعاني خروجا لطيفا)(33). وهذا يكشف لنا وعيا لا سبيل إلى جحده، من خلال نظرة النّاقد إلى ضرورة الانتظام، الذي يضمن اتساق القول أوله مع آخره، ولا يمكن أن

يتحقّق ذلك إلّا إذا كان للشّاعر حذق في صناعة النّصوص، فيأتي بالألفاظ والمعاني مشاكلة لبعضها البعض، ليعرضها في معرض حسن وسبك رائق.

وعلى هذا الأساس تتأكّد لدينا نظرة "ابن طباطبا" حول كليانية النّص، ويتضّح لنا أفق تصوّره للعمل الإبداعي، والّذي يتجسّد وجوده من مطلع العمل إلى آخره، في كلّ متناسق ومترابط لا ينفك جزؤه من أن يستدعي كلّه، وعلى هذه الشاكلة تكون القصيدة قد أفرغت إفراغا كالسّبيكة الواحدة، وتتماسك حتّى تكون كالكلمة الواحدة حسب رؤى "ابن طباطبا".

***-محدّدات البنية النّصيّة عند العسكري:**

لقد وجه "أبو هلال العسكري" (395ه) من خلال كتابه "الصّناعتين"، عنايته لدراسة كلا النّصين النّثري والشّعري، وفي مستهلّ حديثه عن أنواع النّصوص الأدبيّة وخاصيّاتها، ينصّ قائلا:(أجناس الكلام المنظوم ثلاثة: الرّسائل، والخطب، والشّعر***، وجميعها تحتاج إلى حسن التّأليف وجودة التّركيب، وحسن التّأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا، ومع سوء التّأليف ورداءة الرّصف والتّركيب شعبة من التّعميّة...)(34)، فيبدو من خلال قوله هذا، وعيه التّام بمدى أهميّة تحرّي خاصيّة التّأليف والتّركيب –النّحو عموما–، كما لا يمكن أن يستقيم القول إذا أفرغت الألفاظ من المعاني، لذا فالمعنى يكتسي روحا ورونقا من خلال حسن التّأليف. ومن خلال القول السّابق ذكره وما يشير إليه، يمكننا الوقوف على ثلاثة أمور لا تغفل بحال :

1- يتحقّق مفهوم النّص من مفهوم الكلام عند رَحِمَهَاٱللَّهُالعسكري"، فقد استعمل النّاقد في بداية قوله مصطلح "الكلام المنظوم"، وهو لا يقصد به الشّعر كما

أشيع عن هذا المصطلح، وإنّما هو يوسّع محموله المعرفي، فالعسكري في هذا المقام يفرّق الكلام الأدبي والّذي ميّزه بصفة النّظم عن الكلام العادي.

2- تأكيده على أنّ النّص/ الكلام يتمظهر في الأشكال الثّلاثة: الرّسائل، الخطب، والشّعر. وقد سبق لنا الإشارة لهذه النّقطة، ولكلّ لون منه هذه الأجناس الثّلاثة خاصيّاته الفنيّة والأدبية.

3- الصّورة الّتي تضمن التّحقّق الفعلي للنّص، هي حسن التّأليف وجودة التّركيب، وهما مصطلحان يستخدمان للتعبير عن الجمع بين التّصورات المعرفيّة المختلفة وبين المتواليات الجمليّة، وبذلك ينفي النّاقد عن رؤاه النّظرة الجزئيّة للعمل الأدبي -التّأليف الجملي-.

• و هذا ما يرسّخ تمام الوعي لديه، بالنّظر إلى العمل الأدبي كوحدة كليّة مترابطة الأطراف، لذا فهو يشترط على المتكلّم أن يجعل كلامه(...مشتبها أوله بآخره، ومطابقا هاديه لعجزه، ولا تتخالف أطرافه، ولا تتنافر أطراره، وتكون الكلمة منه موضوعة مع أختها، ومقرونة بلفقها)(35)، وفي كلامه هذا ما يدل على وعيّه بأهمّيّة تناسق أجزاء الكلام والتئامها، ذلك أنّ تشابه أوّل الكلام مع آخره يخلق بين أطرافه علاقة تماسك تكون شاملة لكلّ أجزائه، تنطلق بداية بعلاقة الكلمة مع أختها لتصل إلى أعلى بنيّة فيه؛ علاقة الجمل مع بعضها. كما يفيد وعيه بالعلاقات الدلالية التي تربط أطراف الكلام، فعلى المتكلم أن يربط ما تقدم بما تأخر، وأن يجعل الكلمة بمحاذاة سابقتها أو لاحقتها ليحصل تمام الاقتران. تتجلّى تمام الصّنعة في الكلام وحسن بنائه وفق منظور النّاقد إذا تحققت فيه الشّروط التّاليّة :

* تخيّر الألفاظ على ما يوجب التئام الكلام.

* أن يكون موقع الكلام في الإطناب والإيجاز أليق بموقعه، وأحق بالمقام والحال.

* أن تكون موارده تنبيك عن مصادره، وأوّله يكشف قناع آخره. (36)

للحديث عن صحّة السّبك وجودة التّركيب وجب النّظر إلى النّصوص في صورتها الكليّة، والّتي تخلق لنا نظما متكامل التّنسيق، صحيح التّركيب والتّأليف، حتّى يمكن لنا الحكم عليها بالجودة والرّداءة ولذا فإنّ الشّعر عند "العسكري" يتفرّد ويتميّز عن باقي أنواع الكلام، بجودة الصنعة وتماسك بنيته الدّاخلية، ذلك أنّ(ممّا يفضُلُ به غيره أيضا طول بقائه على أفواه الرّواة، وامتداد الزّمان الطّويل به، وذلك لارتباط بعض أجزائه ببعض)(37)، يرجع الناقد البلاغي في هذا القول، ذيوع الشّعر وانتشاره بين النّاس إلى خاصيّة التّماسك الّتي يتفرّد بها الشّعر عن غيره من أجناس الكلام، ذلك أنّ القصيدة الشّعريّة، وبالنّظر إلى الخواص التّركيبيّة الّتي تُبنى وفقها تضمن لها تماسكا داخليّا، ومن بين هذه الخواص: الوزن والقافيّة، الوحدة العضويّة...الخ.

لا ينفكّ "العسكري" يتحدّث عن مقوّمات نصيّة النّص، ولا يكتفي بالحديث عن حسن التّأليف وجودة التّركيب ومدى تأثّر الكلام بهذه الخواص فقط، وإنّما يواصل النّاقد عرض أفكاره حول الآليات الّتي تساهم في خلق حسن التّأليف، لذا فهو يلّح على ضرورة الاتساق النحوي والانسجام الدلالي في كتابه "الصناعتين" ذلك أنّ هاتين الخاصيتين تضمن ترابط النّص من أوّله لآخره.

وكما أسلفنا فإنّ "أبا هلال العسكري"، على تمام الوعيّ بأنّه لا يمكن الحكم على جودة النّص الشّعري أو رداءته إلاّ من خلال النّظر إلى نيته الكلّيّة وحسن تآلفها داخليا وهو بذلك لم يشذّ عن سابقيه، ووفاق ذلك يقول: (والشّعر كلام منسوج، ولفظ منظوم، وأحسنه ما تلاءم نسجه ولم يسخف، وحسن لفظه ولم يهجن، ولم يستعمل فيه الغليظ من الكلام، فيكون جلفا غليظا، ولا السّوقي من الألفاظ فيكون مهلهلا دونا)(38)، وفي هذا القول ينظر العسكري إلى النتاج الأدبي من حيث أنّه نص والدّليل:

1- تعبيره عن الشّعر على أنّه كلام منظوم.

2- تأكيده على خاصيّة الاتساق بدءً بالصّوت ثمّ تركيب الألفاظ، من ثمّ ينتقل إلى الانسجام الدّلالي.

إن كان التّأليف خاصيّة تميّز الكلام عند "العسكري" فقد وظف غيره مصطلح النّظم للتّعبير عن ذلك، وكما سبق الذّكر فقد أوردت الباحثة "نهلة فيصل الأحمد"جملة من المقاربات من بينها "النّص نظم"، والنّظم هو سياقة اللّفظ للمعنى المراد تبليغه، وكثيرا ما نقف على استخدامات هذا المصطلح عند علمائنا القدامى.

***- النّظم من أوجه مفهوم النّص عند الباقلاني والجرجاني:**

يتحلّى النّظم عند" الباقلّاني"(403ه) بخاصّية تجمع أوصال النّصوص وتميّزها عن غيرها، لذلك فهو عنده شبيه بعمليّة النّسيج؛ إذ قد يتساوى(رجلين في العلم بالصّناعة والنّساجة، ثمّ يتفق لأحدهما من اللّطف في الصّنعة ما لا يتفق للآخر، وكذلك أهل نظم الكلام يتفاضلون مع العلم بكيفية النّظم)(39)، فالنّظم ما هو إلّا عمليّة نسج يقوم النّاظم مقام الصّانع، فناظم النّص كالصانع والنسّاج ذلك أنّه يخرج النّص في شكل قطعة نسيج متماسكة، وهذا يذكرنا بإشارة "رولان بارث" في مقولته بأنّ النّص يشبه نسيج العنكبوت.

قبل أن نعرض مفهوم النّص عند "الإمام عبد القاهر الجرجاني"(471ه)، جدير بنا الإشارة إلى أنّ المصطلح في حدّ ذاته قد كان ذائع الاستعمال عند العلماء العرب القدامى، من أمثال "عبد القاهر الجرجاني" و"العلوي" وغيرهم.

إنّ من أبرز ما جادت به قريحة "الجرجاني"، وأغنى به الفكر النقدي العربي نظريته في النظم، وبهذا فهو يعرف النظم قائلا:(النظم: ضمّ الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق، ولذلك كان عندهم نظيرا للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك. مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض حتّى يكون لوضع كل

حيث وضع علة تقتضي كونه هناك، وحتّى لو وضع في مكان غيره لم يصلح)(40)، في قول "الجرجاني" مصطلحات تدل على اتساق الكلام وانسجامه؛ فالنسج والتأليف والبناء، والوشي...، كلّها ألفاظ تحيل إلى ارتباط أجزاء الكلام بعضها من بعض، ويكون في ارتباطها هذا أسباب لغوية وأخرى دلاليّة منطقية، وهي بائتلافها تعطينا نظما ونسيجا محكم الأوصال صحيح الوشائج.

يحاول "الجرجاني" في مواضع شتّى، أن يبيّن الطريقة المثلى لبناء النّص/ الخطاب، كما يبدو جليّا أنّه كان دائم الإنعام بالنّظر إلى العلاقات الّتي تربط الجمل فيما بينها، لذا فهو يقول:(وينظر في الجمل التي تسرد)(41)، يرجّح أغلب الباحثين إلى أنّ "عبد القاهر الجرجاني" قد تجاوز إطار الجملة مبدئيا، وهذا يبدو واضحا في القول السابق ذكره، إذ لم يقصر الإمام نظرته على الجملة المفردة فقال بأن (يُنظر في الجمل التي تسرد)، دليلا على أنّ النّص يحمل أكثر من جملة. وبهذا يظهر وعي الجرجاني بفكرة النّص حتّى وإن لم يصرح بها****.

لا يزال الإمام يؤكدّ على فكرة التئام الجمل وضمها لبعضها البعض، فيقول:(واعلم أنّ من الكلام ما أنت تعلم إذا تدبرته أن لم يحتج واضعه إلى فكر وروية/ حتّى انتظم، بل ترى سبيله في ضمّ بعضه إلى بعض، سبيل من عمد إلى لآل فخرطها في سلك...، وكمن نضد أشياء بعضها على بعض لا يريد في نضده ذلك أن تجيء له منه هيئة أو صورة...وذلك إذا كان معناك)(42)، ففي رأي الجرجاني إن حال الناظم لا تختلف عن هذين الاثنين، فهو يجمع الألفاظ والمعاني والعبارات في نسق واحد، تربطها رابطة متينة.

ونجده يؤكد على فكرة التواشج الحاصل بين الجمل، فالجملة إذا ما دخلت في نظام جملي ترتبط بما قبلها وبعدها فتتواشج وتأتلف معه، (حتّى كأنّ الكلامين قد أُفرغا

إفراغا واحدا، وكأنّ أحدهما قد سُبك في الآخر)(43)، يظهر جليا أنّ "عبد القاهر الجرجاني" كان يريد لفت الانتباه للعلاقات القائمة بين الجمل، والّتي تجعل منها كتلة واحدة عن طريق عملية السبك التي تحدث بينهما.

ومن منطلق هذا، لا يمكن أن يكون "الجرجاني" قد أغفل أهمية التماسك الحاصل بين الجمل، ويتأكّد لنا من خلال هذا أنّه قد أشار إلى المتواليات الجمليّة، الّتي تشكّل لنا النّص من خلال ارتباط السّابق باللّاحق، على أنّ هذه الفكرة هي الّتي تأسّس عليها مفهوم النّص لدى كلّ من "هاليداي ورقيّة حسن"، وبهذا فهو تجاوز نحو الجملة بالنّظر إلى البنى الفوقيّة والّتي تحقّق تشكّل النّص.

يرجع بعض الباحثين المعاصرين والمشتغلين ضمن حقل إعادة قراءة التّراث وإحيائه، على أنّ المصطلحات الّتي وظّفها العلماء القدامى، إنّما هي وليدة البيئة الّتي كانوا يعيشون فيها، ومن ثمّ فإنّنا نقف في مدوّناتهم على مصطلحات تعبّر عن نفس المفهوم، ولكنّها متباينّة في حدّ ذاتها، ممّا يبدي التأثّر بآراء بعضهم البعض.

لقد كانت الإشارات السابق ذكرها مجرّد نبع من فيض، وهي تنبئ عن وعي النقاد القدامى بضرورة تماسك النّص سواء كان شعرا أو نثرا، مبيّنين وسائل وطرائق صناعة الكلام ونحوه، وقد وقفوا على شروط القول البليغ وتبيان ما ينبغي توفره من معايير لغوية تساهم في بناء القول/النّص، حتّى وإن أُشيع على أنّ نظرتهم هذه اتّسمت بالجزئية ولم تتجاوز دراساتهم حدود البيتين إلى أربعة أبيات.

إنّ الحديث عن مفهوم النص في الموروث العربي، تتقاسمه الكثير من المصطلحات التي كانت تشي بوجود النص ككينونة حية، وتشكل طابعا معماريا قوامه الألفاظ ومادته المعاني، فكان من لوازمه أن عبّر عنه تارة بالصناعة، وتارة بالنسيج وأخرى بالنظم، وفي أحايين كثيرة عبّروا عنه بالتّأليف .

الحواشي والإحالات:

1- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، مصر، ج06، مادة نصص.

2- الأزهر الزناد، نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط01، 1993، ص11-12.

3- المرجع نفسه، ص12,

4- خديجة غفيري، سلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي، إفريقيا الشرق، المغرب، 2012.ص18.

*- يجب علينا بداية التفريق بين مصطلحي النص والخطاب، فلقد ذهب أغلب العلماء إلى القول بأن الخطاب: هو كل ملفوظ أو خطاب شفوي، في حين قال البعض الآخر بأن الخطاب ينطبق على الرواية لذلك اصطلحوا عليه بالخطاب السردي(خاص بالروايات)، أما النص فقد قال بعضهم بأنه يطلق على كل ما هو منطوق و مكتوب. ومن هذا المنطلق" يمكن أن نقول بأن كل نص خطاب، ولكن لا يمكن أن يكون كل خطاب نص، في حين يذهب البعض إلى تحديد مفهوم النّص للذي تمّ تثبيته بواسطة الكتابة". ينظر: صلاح فضل، المرجع السابق، ص295-315، وبشير إبرير، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2007، ص86-87. ويقول بول ريكور في هذا الشأن:" لنسم نصا كل خطاب تثبته الكتابة، تبعا لهذا التعريف، يكون التثبيت بالكتابة مؤسسا للنص نفسه" ينظر: بول ريكور، من النص إلى الفعل، أبحاث في التأويل، تر: محمد برادة، وحسان بو رقية، دار الأمان، ط2004،01، ص95.

5- ينظر: بشير إبرير، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، ص70,

6- Halliday.M.A.K, & Hassan, cohesion in English, Longman, 1976, London, p01.

7- عمر أبو خرمة، نحو النص، نقد النظرية... وبناء أخرى، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط01، 2004، ص32.

8- رولان بارث، لذّة النّص، تر: فؤاد صفا، الحسين سبحان، دار توبقال، الغرب، ط01، 1988، ص17.

9-Kristiva(Julia), recherché pour une sémanalyse, editions, seuil, 1969, p19 .

10- رولان بارث، درس السيميولوجيا، تر: عبد السّلام بنعبد العالي، دار توبقال، المغرب، ط03، 1993، ص61.

11 -المصدر نفسه، (المقدمة) .

12- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب – دراسة معجمية-، ص17.

13 -ينظر: عمر أبو خرمة، نحو النّص، نقد النّظرية وبناء أخرى، ص29-30.

14- ينظر: نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النّص وتحليل الخطاب، ص141-142.

15- محمد مفتاح، المفاهيم معالم، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي،ط1، 1999، ص: 16.

16- المرجع نفسه، ص: 17.

17- ينظر:محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، ، استراتيجية التناص، دار التنوير، بيروت، دط، 1985، ص120.

18- المرجع نفسه.

19- ينظر: محمد وهابي، من النّص إلى التّناص، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط01، 2016 ص 40-41.

20- المرجع نفسه، ص41.

21- ينظر: نهلة فيصل الأحمد، التّفاعل النّصي التّناصية النظرية والمنهج، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط01، 2010. ص 34-36.كما ينظر تفصيل ذلك وتحليله على الوجه الأليق والأكمل،محمد مفتاح، المفاهيم معالم،ص20 إلى غاية الصفحة27.

**- إنّ المتتبع لآراء الجاحظ ضمن مدوناته، يلتمس تلك التبصرات الّتي كان يشير إليها دائما والّتي تقترب إلى حدّ ما من المباحث اللسانية الحداثية، ويشمل هذا القول مفهوم النّص.وقد رأينا مُسبقا أنّ هناك بعض الباحثين اللسانيين المحدثين قد ميّزوا النّص بأنّه ما تمّ تثبيته بالكتابة، ونجد الجاحظ قد أفاض في هذا الشأن قبل ما يفوق أربعة عشر قرنا مضت، حين بيّن مدى أهمية التدوين وتثبيت النصوص بالكتابة، فالجاحظ قد عاصر بدايات التدوين وكان الاهتمام به كبيرا إذ انتقلت الأمّة العربية الإسلامية من مرحلة النقل الشفوية إلى مرحلة التدوين بالكتابة أي من العامية إلى العالمية. ينظر: بشير إبرير: تعليمية النّصوص بين النظرية والتطبيق، ص37-39.

22- ينظر: عاصم محمد أمين بني عامر، ملامح حداثية في التراث النقدي العربي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط01، 2005، ص,109

23- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ص,76

24- نهلة فيصل الأحمد، التّفاعل النّصي، التّناصيّة النّظريّة والمنهج، ص,27

25- محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب،1999. ص191.

26- بشير إبرير، تعليمية النصوص، بين النظرية والتطبيق، ص,41

27- ابن طباطبا العلوي ،عيار الشعر، تح: عباس عبد الستّار، مر: نعيم زرزور،دار الكتب العلمية،لبنان،ط02، 2005، ص,10

28- ينظر: محمد خطّابي، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، المغرب/ لبنان، ط2، 2006،

ص145- 146.

29- ابن طباطبا العلوي، المصدر السابق، ص,10

30- محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، تح وتع: طه الحاجري، وزغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، دط، 1956، ص124.

31- محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، ط01، 2005، ص,103

32- ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، م.س، ص06

33- ينظر للاستزادة : المصدر نفسه، ص131.

***- يمكن لنا في هذا الموطن أن نوثّق صحة أقوالنا بما ذهب إليه محمد العبد في دراساته وتخريجاته حيث يقول: ((دلّ القدماء على "النّص" بأشكاله الّتي يتبدّى فيها تحقّقه؛ كالقصيدة والخطبة والرّسالة ونحوها، ولم يألفوا –في تنظيراتهم- جمع تلك التّحقّقات في مفهوم "النّص" البنائي. بيد أنّ القدماء اللّسانيّين البلاغيّين قد أتيح لهم –على رغم ذلك- أن يلاحظوا لتلك التحقّقات مقوّمات النّصيّة جوهريّة مشتركة، فضلا عمّا لاحظوه لكلّ منها من مقوّمات نصيّة جوهريّة خاصّة؛ مثل تلك الّتي تفرّق بين قصيدة ورسالة، أو بين رسالة وخطبة.... الخ)) . ينظر : محمّد العبد، المرجع السابق، ص ,100

34- أبو هلال العسكري، كتاب الصّناعتين، الكتابة والشّعر، تح: علي محمد البيجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط01، 1952، ص,161

35- أبو هلال العسكري، المصدر السابق، ص141- ,142

36- ينظر : محمد العبد، المرجع السابق، ص 105-,106

37- أبو هلال العسكري، المصدر السابق، ص,137

38- العسكريّ، المصدر السابق، ص60

39- أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، ، ص,295

40- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004.، ص,56

41- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص81.

****- لقد ذهب عمر أبو خرمة مذهبا بعيدا في تأويله لأقوال عبد القاهر الجرجاني، فقال بأنّ الجرجاني عندما تحدث عن النظم وكيف يتم بناؤه، أنّه كان يقصد صناعة النّص، وعن قوله في أحوال الخبر(فينظر في الخبر...وفي الشرط...)، أنّه كان يرمي بذلك إلى نحو ما فوق الجملة.ينظر: عمر أبو خرمة، نحو النّص نقد

النظرية وبناء أخرى، ص44-46. وكذا حاول بشير إبرير ربط مفهوم النّص من مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني. ينظر: بشير إبرير، تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق، ص45-,54

42- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص96-,97

43- المصدر نفسه، ص316.

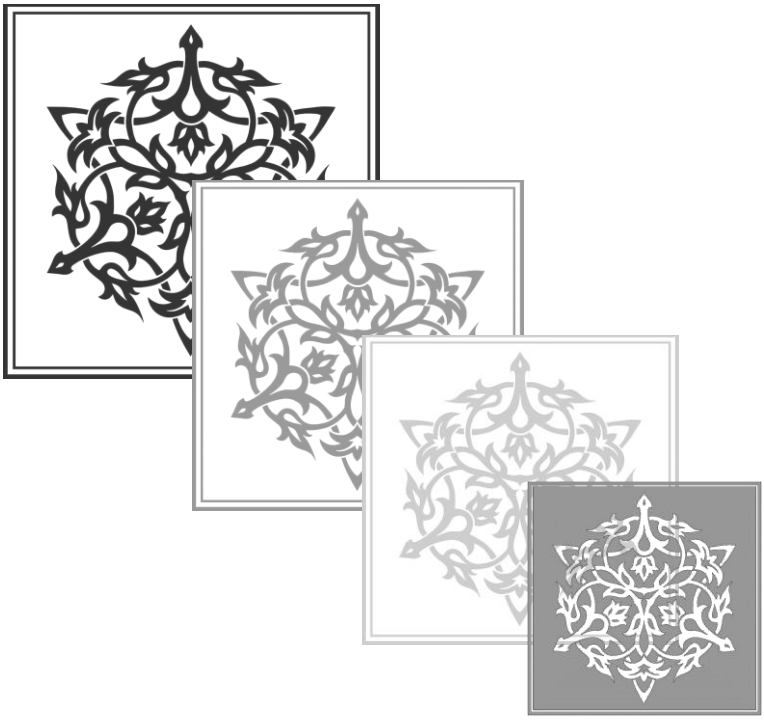

the text concept in the Arabic criticism heritage between comprehension and terminology.

By: Nekaa Souad / Pr. Mekkaoui Kheira
Department of Literary and Critical Studies
Abdelhamid Ibn Badis University– Mostaganem

Abstract:

if the text was newly created, with a western term, it doesn't deny its conceptual in the arabic heritage. this is what this research means and which will mention the following:

definition of the text as a constitutive mental procedure, then the representation of the historical track of text in the arabic criticism heritage with regard to Al-Jahiz. .

key words: definition of the text ; texture , discourse , coherence.